لماذا تتغير اللغات[1]

عرض ونقد

عباس علي السوسوة
أستاذ اللسانيات -جامعة الملك خالد

(١) كتاب: لماذا تتغير اللغات، تأليف/ ر. ل. تراسك، ولمترجم العمل د. محمد مازن جلال. الترجمة العربية صادرة من جامعة الملك سعود بالرياض، عام ١٤٣٤هـ= ٢٠١٣م، في ٣٩٢ صفحة.

مقدمة

هـذا الكتـاب الـذي يحمـل العنـوان نفسـه كتـاب نفيـس يهـمّ اللسـاني المختـص أولًا، ثـم طالـب اللسـانيات، ثـم القـارئ المثقـف الـذي يحـرص عـلى تثقيـف نفسـه في هـذا المجـال، مـن أهـل التخصـص الحريصـين عـلى إجـراءات العمـل العلمـي الدقيقـة، بعيـداً عـن الصخـب والأفـكار الشـائعة الزائفـة، ويزيـد مـن نفاسـته أن المؤلـف كتبـه كأنـما يوجـه حديثـاً شـفوياً في محـاضرة لمجموعـة طـلاب علـم حريصـين، ويسـتعمل الخرائـط، والجـداول الإيضاحيـة، وقوائـم الكلـمات المطولـة المتنوعـة، ويسـتعمل إلى جـوار الكتابـة الألفبائيـة المعتـادة الكتابـة الصوتيـة الدوليـة بنوعيهـا: الواسـعة والضيقة، والمصطلحـات المتفـق عليهـا عنـد لسـانيي الغـرب في الأصـوات والـصرف والنحـو والمعجـم وعلـم الخـط حسـبما يقتضيـه الموقـف. ويزيـد العمـل قيمـة -إضافـة إلى مـا سـبق- إزالتـه لكثـير مـن الأوهـام الشـائعة عنـد المختصـين وعنـد القـراء العاديـين عـلى حـد سـواء.

وسـنبدأ عملنـا بتعريـف موجـز بالمؤلـف مـن صفحتـه الخاصـة عـلى المشـباك (Larry Trask's Home Page) ثـم نعـرض لفصـول الكتـاب الثمانيـة -وإن كان لنـا رأي أثنـاء العـرض فصلنـاه وجعلنـاه في بدايـة فقـرة مصـدَّراً بكلمـة (قلـت)- ونذكـر مـا نـراه مـن مآخـذ عـلى الترجمـة، راجـين في ذلـك تعريـف القـارئ العـربي بأهـم مـا في هـذا العمـل، وليـس ذلـك بالأمـر السـهل؛ لكثـرة الشـواهد في كل مسـتوى ومـن أكثـر مـن لغـة أوربيـة، سـواء كانـت الشـواهد ألفاظـاً أم عبـارات أم جُمـلاً أم فقـرات، وبـالله العـون وعليـه التـوكل.

وسـيكون الرقـم الأول للصفحـة والثـاني للسـطر، و ف للفقـرة. ٤-٦ تعنـي صفحـة ٦ سـطر٤، و٢٩ف٢ تعنـي ص٢٩ فقـرة ٢.

أولاً: تعريف موجز بالمؤلف

هو روبرت لورنس تراسك، ولد في نيويورك عام ١٩٤٤م وتوفي في بريطانيا عام ٢٠٠٤م، وهو يعمل على إكمال هذا الكتاب، وعلى إكمال معجمه التأصيلي. بدأ بدراسة الكيمياء ثم تحول اهتمامه إلى اللسانيات، حصل على الدكتوراه من جامعة لندن، وبعدها درّس في جامعات مختلفة في بريطانيا أولها جامعة سَسِكس، متخصص في حقل اللسانيات التاريخية ومتخصص في لغة الباسك[1]. كتابه «تاريخ لغة الباسك ١٩٩٧» مرجع أساسي في تطور/ تغير لغة الباسك تاريخياً، ولعله أفضل مدخل إلى لغة الباسك عموماً.

ألف مقدمتين في اللسانيات «أساسيات اللغة ١٩٩٥» -مترجم إلى العربية- و «تقديم اللسانيات ٢٠٠٠م» مع بيل مالبين. وألف معاجم مختلفة في موضوعات مختلفة من هذا العلم:

- معجم المصطلحات النحوية في اللسانيات ١٩٩٣م.
- معجم الصوتيات والصواتة ١٩٩٦م.
- معجم الطالب في اللغة واللسانيات ١٩٩٧م.
- المفاهيم المفاتيح في اللغة واللسانيات ١٩٩٩م.
- معجم اللسانيات التاريخية والمقارنة ٢٠٠٠م.
- معجم بنجوين في النحو الإنجليزي ٢٠٠٠م.

(١) لغة منتشرة بين الحدود الإسبانية الفرنسية لا تنتمي إلى الفرع اللاتيني ولا أي فرع من فروع الأسرة الهندية الأوربية، بل لا تنتمي إلى بقية الأسر المصنفة كالدرافيدية والأورالية والأفروآسيوية ... إلخ. وكان مؤرخو الأندلس من العرب يسمون هؤلاء القوم: البَشكُنس.

وله كتب أخرى: تغير اللغة ١٩٩٤م، اللسانيات التاريخية ١٩٩٦م، دليل بنجوين في علامات الترقيم ١٩٩٧م. وعمل محرراً مساعداً في كتاب «الزمن السحيق في اللسانيات التاريخية».

وواضح أن هذه المؤلفات صبّت كلها في خدمة الكتاب الأخير في حياته التي نعرض له هنا؛ إذ توفي وهو في مراحله الأخيرة، فراجعه زميله روبرت مكوّل ميلر.

ثانياً: عرض فصول الكتاب الثمانية

بدأ المؤلف بمقدمة سماها: «كلمات قليلة قبل إن نبدأ» ذكر فيها أن هدف الكتاب إعطاء القارئ إحساساً بالتغير اللغوي، وأنه سيستخدم مصطلحات ورموزاً وسيشرحها، لكن لا بد من التنبيه على أن الحروف الرومانية التي تستعملها الإنجليزية -وغيرها- غير كافية لوصف كل الأصوات؛ لذا سيستعمل الألفباء الصوتية الدولية مع توضيحها.

الفصل الأول: كيف تتغير اللغات صـ١-٣٨

بـدأه بفكـرة أن كل اللغـات تتغـير؛ فلـم يكـن أجـداده يتحدثـون بنفـس الطريقـة التـي يتحـدث بهـا، فجدتـه لم تسـتخدم عبـارة: في النهايـة، بـل: في آخـر نهايـة المطـاف، وبـدلاً مـن: في نهايـة الفلـم تقـول: في آخـر نهايـة الفلـم. ولعـل القـارئ يتحـدث بشـكل مختلـف قليـلاً عـن أجـداده، وأحفـاده كذلـك، فالتغـير مـن سـنن الحيـاة التـي لا شـك فيهـا، فـلا يوجـد أحـد عـلى قيـد الحيـاة اليـوم يتحـدث الإنجليزيـة التـي كان يتكلمهـا الممثلـون: همفـري بوجـارت أو جوبـن ويـن أو مارلـين مونـرو، بـل ولا مثـل الرئيـس الأميركـي جـون كينيـدي.

ثـم انتقـل إلى ملاحظـة التغير في الإنجليزية بتسـاؤل عن Paint الطـلاء الذي تضعه النسـاء عـلى وجوههـن، وأنه دخـل الإنجليزية في عام ١٦٦٠م واسـتعمله الجنسـان، ثم ظهـرت كلمـة (روج) في ١٧٥٣م واسـتمرت قرنـين، وفي عام ١٩٦٥م صيغـت للمنتج كلمـة بلوشـير= أحمـر الخدود محـل روج، ثم في آخر أيامه سـمع شـابة تطلـق عليه روج، بعـد أن ظـن أنـه مـات. وواصـل الحديـث عـن بعـض أسـماء مسـتحضرات التجميـل وأفعالهـا. وذكـر أن اللغـات تتغـير لأن العالم يتغـير، وضرب أمثلة للقـرص المزدوج CD الـذي لم تنطـق بـه أبـداً مارلـين مونـرو (ت١٩٦٢م) وعينـة صغـيرة مـن الكلـم الجديد المألـوف الـذي دخـل الإنجليزيـة مثـل: أم عزبـاء، فيديـو، حاسـوب محمـول، الإيـدز، طائـرة نفاثـة ضخمـة، إيميل، فـرن مايكرويـف، طعام مهنـدس وراثياً. وقـال في ص٨: «في خمسـينيات القـرن المـاضي كان الجميـع يتابعـون مـا يسـمى ب hit parade قائمـة الأغنيـات الأعـلى مبيعـاً، هـل لديـك فكرة مـاذا تعنـي (...) تعني مـا نطلق عليـه اليوم اسـم charts قائمـة الأغنيـات الأعـلى مبيعاً» اهـ

قلـت: تأخـر اقـتراض العبـارة في العربيـة حتـى السـبعينيات، وكان لهـا رواج في البرامـج الغنائيـة الغربيـة خصوصـاً في إذاعتـي مونـت كارلـو العربيـة وإذاعـة الـشرق الأوسـط مـن القاهـرة، واسـتمر رواج ال/ هِـت برِد/ -هكـذا نطـق المذيعـين- حتـى

التسعينيات. ولا أدري عنه شيئاً بعد ذلك. وفي ويكيبديا بالإنجليزية أن أصل المصطلح بالمعنى المذكور يعود إلى الثلاثينيات حين نشرت مجلة Billboard Magazine أول قائمة شائعة بالموسيقا في ٤ يناير ١٩٣٦م، ثم استعمل ليشير إلى قائمة موسيقا وتسجيلات ملحنة تُبث على الهواء والتلفزيون في الولايات المتحدة منذ عام ١٩٣٥م، واستمرت خلال الخمسينيات. (هذه المعلومات أخذتها ويكيبديا من موسوعة إذاعة الزمن القديم، مط جامعة أكسفورد ص ٧٣٩). اهـ

وانتقل إلى فكرة اللغات تتغير مثل الأزياء فكلمة النسوية سجلت أول مرة عام ١٨٤٦م ولم تكن شائعة، واستبدل بها تعبير آخر في ستينيات القرن العشرين، ثم استهجنت، ثم عادوا لاستعمال اللفظ الأول بسبب ظروف سياسية وثقافية. وضرب أمثلة لكلمات قديمة ماتت بموت العادات المرتبطة بها. ثم انتقل إلى أن معاني الكلمات خادعة ففي عدة صفحات من ١٠-١٣ روى قصة الكلمتين grammar قواعد اللغة و glamour بريق. كلمة واحدة في الأصل فصارت الثانية تدل على الذوق الرفيع وكل ما هو مرغوب فيه، كيف بدأها من السلف الأكبر قواعد اللغة اليونانية، ثم انتقالها للرومان وعلاقة القراءة والكتابة بالسحر، ثم انتقالها إلى أسكتلندا وتغير نطقها وكيف أشاعها الروائي السير والتر سكوت.

انتقل بعد ذلك إلى تغير معنى الفعل الجنسي، وكيف يلفف بالكناية، وعدد من العبارات المهذبة غير الصريحة التي تظهر وتختفي بسرعة ولا تبقى فترة طويلة.

قلت: في عربية التراث كلمات المباشرة والملامسة والإفضاء، وفي عصرنا بتأثير من الترجمة عن اللغات الأوربية ظهرت تعابير ممارسة الحب، وإقامة علاقة. ولم يعد هذان التعبيران مهذبين كفاية. ومثل ذلك الألفاظ المتعلقة بقضاء حاجة الإنسان البيولوجية وأماكنها، كلما انتقلنا من زمن إلى آخر صار المهذب مستهجناً واستبدل به تعبير آخر، مثل: الغائط، التبرز، الحُش، الكنيف، المستراح، بيت الأدب، الحمام، دورة المياه، التواليت... وهكذا. اهـ

ثم انتقل إلى فكرة التغيرات في القواعد. فذكر أن أوضح مجالات اللغة التي يرى فيها التغير مجال المفردات حياة وموتاً. لكن النطق يتغير والقواعد تتغير. ونظر في بعض قواعد الإنجليزية التي تغيرت في العقود الأخيرة، ومن بينها (الصيغة المستمرة للمبني للمجهول) والتركيب التام وقواعد أخرى.

وانتقل إلى أن نطق الإنجليزية محل للتغير المطّرد، فإذا فهمنا ألفاظ شكسبير ونحوه لن نفهم ما يقول إذا سمعناه. وإن انتقال الإنجليزية إلى أميركا جعل النطق يواصل تغيره على جانبي الأطلسي، فالبريطانيون استهجنوا نطق سينما هوليود. وذكر أن نظام الرسم الإملائي لا يقدم ما نستدل به على طريقة النطق. ومثل كلمة knight= فارس/ نايت، فيراها كانت تنطق كناخت، ثم اختفى الكاف والخاء، وانتقل إلى ظاهرة إسقاط /ɪ/ من النطق الحديث وعلله ومن مرّ به وفي أي الأماكن قُبل أو لم يُقبَل، ثم انتقل إلى تغير الصوائت فهو أسرع. وختم الفصل بتغيير حديث هو طريقة الحديث المتصاعد مع الجمل الخبرية في أميركا وأستراليا.

الفصل الثاني: لماذا تتغير اللغات دائماً صـ٣٩-٧٧

منذ أدرك الناس تغير اللغة طرحوا بعض الأفكار العبثية التي تطل برأسها في المناقشات العامة، إحدى هذه الأساطير تعزو تغيرها بسبب ملامح جسدية خاصة في الناطقين مثل قصر الألسنة أو غِلظ الشفاه أو فلج الأسنان، وهذا كله لغو؛ فحجم اللسان تماماً كحجم القدم، لا علاقة له بذلك. وعرج على فرضية بروزناهان في الأصوات الاحتكاكية بين الأسنانية: الثاء والذال، فلاحظ أن السواحل الأوربية أكثر المناطق التي تشيع فيها فصيلة الدم O، فطرح فكرته أن هذه الفصيلة تيسر نطق هذه الأصوات، بينما تصعّبها فصيلتا أ و ب، ونقضها بأن لغة الباسك تتجاوز كل اللغات الأوربية في العمر ولدى الباسكيين أعلى نسبة من فصيلة O لكن ليس فيها أصوات بين أسنانية إطلاقاً، ثم إن الإنجليزية الأميركية التي يتحدث بها الناس من كل العرقيات تحتوي على هذه الأصوات.

وعرض لأسطورة ثانية هي تأثير الطقس والتضاريس فتميل اللغات إلى التغير لتوافقها. ومن ذلك الصوائت الأنفية في اللغة الفرنسية، ولما كانت الفرنسية فرعاً مباشراً للاتينية وهذه لا توجد بها صوائت أنفية، فلجأ إلى تفسير أن الفرنسية القياسية تطورت في باريس ذات المناخ الضبابي الرطب، وكان الناطقون يعانون الزكامَ الذي يجعل كلامهم أكثر أنفية، فتسبب في ظهور الصوائت الأنفية.

وسخر المؤلف من ذلك فمناخ مدينة برايتون التي يعيش فيها أكثر رطوبة وضباباً من أي مدينة في العالم ومع ذلك ليس بها صوائت أنفية، ثم إن البرتغالية فيها صوائت أنفية مع أن مناخها جاف ودافئ، ثم إن الزكام يصعّب نطق الأصوات الأنفية: النون والميم، فكلمة men تخرج من المزكوم كأنها bed. وختم بأن التفسيرات المعتمدة على الجغرافيا فاشلة، فأنت تستطيع أن تختار أي ملمح لغوي خاص وسوف تجده متناثراً في كل مكان في العالم بغض النظر عن التضاريس.

قلت: مثل ذلك (تفسير المرحوم إبراهيم أنيس (ت: ١٩٧٧م) -وإن لم يكن له علاقة بالجغرافيا- ميل قبائل البدو إلى نطق الضمة وميل الحضر إلى نطق الكسرة، فالبدو يقولون قُدوة والحضر قِدوة... إلخ. وتلاه أتباع من تلاميذه وغيرهم، رغم مناقضة ذلك لما أثر من نسبة في القراءات القرآنية وغيرها. انظر بحثنا «سطوة الشهرة على آراء الباحثين في اللسانيات العربية» مجلة الدراسات اللغوية- الرياض، مج ١٠، ع الرابع ٢٠٠٨م. ونشر في كتابنا دراسات لسانية بالمنهج التاريخي، بيروت دار الكتب العلمية ٢٠١٤م. والمؤلف صادق تماماً في أن المزكوم لا يستطيع إخراج هواء الأصوات الأنفية. فقد سمعنا (بزكوباً)= مزكوماً ينادي صديقه (مأمون) فينتهي الأمر بعراك بالأيدي. وأذكر مجلة (البعكوكة) الفكاهية القاهرية، فيها باب (بذكرات بطرب بزكوب) للتندر من (مذكرات مطرب مزكوم). اهـ

ثم يتحدث عن فكرة التبسيط. فبعضهم يرى أن اللغات اليونانية القديمة واللاتينية القديمة والإنجليزية القديمة كان فيها مجموعة من النهايات النحوية المعقدة، في حين أن فروعها الحديثة تحتوي على نهايات أقل وأبسط. وهذا صحيح عموماً لكنها ليست صحيحة في كل الأحوال؛ فالتغير اللغوي لا يعني التبسيط، فالنهايات النحوية جانب واحد من البنية اللغوية، فقد تحتوي الإنجليزية والفرنسية على نهايات أقل كما في أسلافهما، ولكن لهما نطق أكثر تعقيداً وصعوبة مما في الأصل. وفي الإنجليزية الحديثة تراكيب معقدة لا مثيل لها في الإنجليزية من ألف سنة مضت (أورد نصاً حديثاً). وزاد: ليس صحيحاً أن اللغات دائماً تفقد النهايات النحوية أو تبسطها، وأمامك اللغتان الفنلندية والهنغارية اللتان اكتسبتا عدداً كبيراً من النهايات لم تكن في الأصل علاوة على مجموعة من الصيغ المعقدة.

بعد عرض هذه الأساطير وتفنيدها. ذكرنا في الفصل الأول الذي فيه التغير بسبب التقنية، فنحن لم نكن بحاجة إلى كلمة تلفزيون حتى اختُرع، ونظراً للسرعة والتطور التقني في القرنين الأخيرين فهذا النوع من التغيرات شائع. لكن العالم لا يتغير بالمهندسين فحسب. فمنذ فترة ليست بعيدة لم يكن المتحدث بالإنجليزية

يعرف: كابتشينو وكريم كرامل وسوشي وكباب وغيرها. والإنجليزية تقبل بالكلمات المقترضة من كل مكان، اقترضت سلساً من الموسيقا الإسبانية الكوبية، وانتفاضة من العربية الفلسطينية، وساونا من الفنلندية، وكاروكي من اليابانية، إلى جوار رياض الأطفال من الألمانية، وكشك من التركية، وإعصار= هوريكين من لغة هايتي. ومع ذلك ليس هذا التفسير الوحيد للتغيير.

يذكر أن قدراً كبيراً من التغير اللغوي مردّه إلى الكسل أو قلة الصبر، فالبشر يفضلون التعابير الأكثر اختصار على الأطول منها. ف: تليفون صارت إلى فون، وجيمنازيوم إلى جيم، وإنفلونزا- فلو، وهيئة الإذاعة البريطانية- ب.ب.سي، ومكتب التحقيقات الفيدرالي- ف.ب.ي، وكم من الناس من يتذكر المبيد الحشري دي.دي.تي واسمه الكامل dichlorodiphenyltrichilorethane؟ ويرجح أننا نختصر الكلمات والعبارات التي نستخدمها بشكل متكرر، فقد اختصرت عبارة god be with you= ليكن الله معك إلى good-bye ثم bye.

قلت: هذا حق، أمامنا صيغة و»عليكم السلام ورحمة الله وبركاته» سمعناها في مصر كثيراً: سركاتو، وفي محكية صنعاء وما حولها في اليمن «صبحكم الله بالخير» وكيف أصبحتو؟ إلى أصبحتو وكصبحتو، وبحكُم الله بلخير ومثلها عبارتا مسّاكم الله بالخير، كيف أمسيتو؟ إلى جوارهما كمسيتو وأمسيتو. وفي العراق: اللبلخير. اهـ

وينتقل إلى ما يمثل نقيض التفسير السابق كاستخدام الجمع men للمفرد man ويتحدث عن أثر التوكيد والوضوح في التغير اللغوي، فقد تعد بعض الكلمات أقصر مما كانت عليه مثل الفرنسية aout من أوجستوس التي لا ينطق بها غير/ u/ ، و aqua= الماء، تكتب eau وتنطق / o/ فقط، وإذا صارت أكثر الكلمات كذلك فلن نعود قادرين على التفاهم **وأحد الحلول تطويل كلماتنا. ومثل لذلك من الفرنسية والإنجليزية.**

وانتقل إلى أثر التأدب في نشوء تعابير في موضوعات الجنس والإخراج والموت.

وأما في أسماء البلدان فكانت الإنجليزية تضع the مع أسماء البلدان كالولايات المتحدة والمملكة المتحدة والفلبين (ال) أراضي الواطية. وبعضها مثل كوبا، برازيل، ويلز، روسيا، إيطاليا، لا تضعها معها. وتصور أن بلداناً كانت توضع قبلها أداة تعريف مع أسمائها الإنجليزية مثل السودان (ال) لبنان (ال) جامبيا (ال) أوكرانيا وغيرها. وصارت الآن بدون the وإنما جعل كذلك لأن بعضها غضب -مثل أوكرانيا- فتلك العلامة توحي أنها جزء تابع لدولة أكبر.

قلت: هذا موضوع شائق، وفعلاً نلاحظ أننا في العربية المعاصرة نقول ونكتب: الأرجنتين والبرازيل والبارجواي والأورجواي (وأحياناً دون ال) ولا نكتب الشيلي والكولومبيا والكوبا والنيكاراجوا، والإيطاليا والفرنسا. بل فرنسا فحسب مع أنها عندهم la france. دون سبب مقنع. ونقول الباكستان وباكستان! وكان شيخنا محمود فهمي حجازي قد كتب عن هذا الموضوع في كتابه «أصول الفكر اللغوي عند الطهطاوي» مع تحقيق كتابه «تلخيص الإبريز في تلخيص باريز» طبعة القاهرة ١٩٧٤م، ومما ذكره عن الطهطاوي في ترجمته لكتاب ملطبرون في الجغرافيا، وفي التلخيص. أنه سمى الولايات المتحدة الأميركية بلاد الإيتازونيا أخذاً من النطق الفرنسي: لي زيتازونيه. وكان عنده بلاد السِّرب (هي الآن صربيا) وآسوج، الآن السويد. اهـ

ثم انتقل إلى عامل سوء الفهم وخطأ التأويل، وعامل المكانة وحب الظهور وتحدث عنه الأثر النورماندي الذي جعل ما بين ٦٠ إلى ٨٠٪ من المفردات الإنجليزية الأصلية يختفي في القرون التي تلت الفتح النورماندي، ثم جف سيل المفردات المتدفقة على الإنجليزية لكن الهيمنة الفرنسية لم تتوقف. فمنذ القرن السادس عشر كان ينظر للثقافة الفرنسية على أنها ذروة الحضارة، وكانت تتعلق بطريقة الحياة المدنية المتطورة والثرية، فدخلت للإنجليزية تعابير: رصاصة الرحمة، بِكنِك= نزهة. شمبانيا، كروشيه،

كونياك، جراج، باليه. ومنذ ١٩٤٥م أخذت مكانة الفرنسية تتدنى فتبدل الحال وأخذت الإسبانية والألمانية واليونانية تقترض المفردات الإنجليزية، بل حتى الفرنسية رغم جهود الأكاديمية الفرنسية في وضع بدائل لها.

ثم انتقل إلى أسباب بنائية صوتية، منها ظاهرة التحنيك، وهي ميل الأصوات التي مخرجها أقصى الحنك أن يتحول مخرجها إذا وليها حركات أمامية كالكسرة، فتنطق من وسط الحنك/ الغار. مثل لذلك ب/ k/ المشتركة بين الألمانية والإنجليزية التي تحولت إلى / تش/ في الإنجليزية وبقيت كما هي في الألمانية، فكلمة kin تحولت إلى chin (ذقن) وkase تحولت إلى cheese (جبن) و kind= child (طفل).

وهناك أسباب بنائية في نظم المعنى، ومثّل لذلك بنظام الألوان، ففي لغة الباسك urdin كانت تعني الأزرق والأخضر والظلال الخفيفة من الرمادي، ثم استعارت من الإسبانية كلمتي الأخضر والأزرق verde-berde ثم الرمادي gris وصارت يوردين تدل على لون نوع معين من الفطر. وفي الإنجليزية حدث توسع في نطاق الألوان، ومثل لذلك بكلمة orange برتقالي. فهذه الثمرة دخيلة على أوربا، واستعير اسمها من السنسكريتية بعد مروره بالفارسية والعربية والفرنسية، ثم دخل الإنجليزية في ١٣٨٧م وجذب لونها الانتباه فتحدثوا عن اللون البرتقالي، لكنه لم يرد صريحاً للون إلا في ١٦٠٠م وظل نادر الاستعمال حتى نهاية القرن السابع عشر. ومن الواضح أن برتقالي عند المتحدثين بالإنجليزية من الألوان الأساسية مثل أحمر وأصفر وأخضر، وليس من تنويعات لون آخر. ثم انتقل إلى وردي= pink فحتى أواخر القرن السادس عشر كانت نوعاً من الزهور ذات لون أحمر باهت، ثم استعملت لوصف أي شيء يتسم بلونه، وصارت فيما بعد من الألوان الأساسية لا تنويعاً للأحمر.

قلت: الفكرة صحيحة في اللغات من حيث المبدأ، لكن في كلامه عن اقتراض أورانج عن طريق العربية نظراً، في الهندي الثمرة نارنج، والنارنج مذكور في تراثنا

الأدبي والزراعي منذ العصر العباسي الثاني على الأقل أما الكلمة المستعملة الآن للثمرة والشجرة، برتقال وبرتقالة، ثم برتقالي للون -وليس أورانج- فتأخر حتى القرن التاسع عشر الميلادي؛ لأنا لا نجده في المعاجم وكتب اللغة والفلاحة والأشعار والرسائل الأدبية، فكيف أخذته الإنجليزية عن العربية؟ ظاهر أن الاسم مأخوذ من البرتقال= البرتغاليين الذين جلبوها معهم يعلم الله بأي اسم، بعد أن غيروا صوت g بجعله قافاً كتابةً ونطقاً، كما أخذ عنهم العرب المسحوق المكون من التتن والأملاح يوضع تحت الشفة السفلى وسموه بردقان، وبرتقان، وزادوا فاشتقوا منه فقالوا: تبردق ومتبردق والبردقة... إلخ. اهـ

وللقياس أثر كبير في تغير اللغات من ذلك تغير علامات الجمع في الإنجليزية، ففيها جمع قياسي بإضافة s للكلمة، ومع ذلك فهي لا تسمح به لتكوين جمع: قدم، طفل، غنم، فار، نصف قطر. وأفرد لذلك جدولاً بصيغ الجمع الشاذة لم يبق منها غير ثلاثة. ثم مثّل لتغير صيغة الماضي والتصريف الثالث للأفعال ودور القياس فيه.

وتحدث عن دور هوية الجماعة في التغير اللغوي. فالتعرف على جماعة من لغة معينة يكون من طريقة حديثهم أكثر من الزي وتسريحة الشعر والإكسسوار وأماكن التجمع المحببة عندهم؛ فالميكانيكي اللندني يتحدث إنجليزية ذات مكانة متدنية اجتماعياً، وهو يعرف ذلك ويسمع اللهجة المرموقة المكانة مراراً كل يوم، فلو غير لهجته لظن أصدقاؤه أنه يمزح وسيضحكون قليلاً ثم ينصرفون عنه بل يعادونه. وقل مثل ذلك عن بقية الفئات الاجتماعية.

الفصل الثالث: من أين تأتي الكلمات؟ ٧٩- ١٢٩

هذا الفصل من أعصى فصول الكتاب على التلخيص؛ لكثرة الأطوار التي ينتقل بها شكل اللفظ ومعانيه والملابسات السياسية والدينية والاقتصادية... إلخ. وما أكثر الألفاظ التي يتابعها المؤلف.

لكن البحث عن تأصيل الكلمات ليس سهلاً، ولا يكفي فيها دائماً الاستعانة بمعجم جاهز، ولا يعد التشابه بين الكلمات ذا قيمة دائماً [ذكر أمثلة كثيرة] منها غوريلا. وما زال بعضها غير معروف الأصل حتى اليوم مثل يويو وزيبرا= حمار وحشي، وبنجوين= البطريق، بل إن أصل الفراشة butterfly غير مستقر ذكرها في ثلاثين لغة أوربية حديثة قلما اتفقت منها ثلاث على لفظ متشابه الحروف، بل إن منطقة الباسك وهي محدودة فيها أكثر من ٢٥ لفظاً للفراشة منها: تخيميليتا، أنجوما، بمبرينا، أويلوجاينكو. المهم أن الكلمة في الإنجليزية ثابتة في كل عصورها، لكنهم تحيروا بعلاقتها بالزبدة butter. ومن الأمور المحيرة أصل كلمات jazzg، girl، boy.

في ٩٢ ف٢ يقول: «توسع معنى (بطارية) ليشمل أشياء كثيرة، وفي أغلب الأحيان يكون لتلك الكلمة معنى group- كما في عبارات مثل a battery of tests مجموعة اختبارات...». اهـ

قلت: استعمل التربويون العرب في أبحاثهم بالعربية تعبير «بطارية اختبار». فانظر إن شئت المجلة العربية للعلوم الإنسانية والمجلة العربية للعلوم الاجتماعية، وهما صادرتان من جامعة الكويت، في عقدي الثمانينيات والتسعينيات. اهـ

ليست كل كلمات الإنجليزية مشتقة من لغة مباشرة دائماً، فمنذ الحرب العالمية الثانية تتدفق إليها كلمات جديدة حتى إن بعض الناشرين يصدر بها قوائم سنوية. وتتنوع أنماط هذه الكلمات والكثير منها تقني ورسمي. وبدأت منذ القرن ١٨م عادة الميل إلى تقصير الكلمات الطويلة (الاختزال Clipping)، لكنها كثرت في النصف الثاني من القرن العشرين. فاختزلت brassiere صدرية نسائية إلى bra وفيولونشيللو

إلى شيللو [الكهان الجهير] وجيميناز يوم (صالة رياضية) إلى جيم، ورِفرِجريتر= إلى فرج، والتمساح من كروكودايل إلى كرُك، وفرس النهر= هيبوبوتاموس إلى هيبو، وأمينوبيس إلى باص. وأحيانًا تزال الكلمات المختزلة بلاحقة التصغير (ي) أو (و).

وطبعاً يشير المختزل إلى نفس معنى مصدره، بل يطغى عليه ويصير كلمة عادية فيجري عليه التصرف القواعدي من علامة الجمع فتجمع gyms صالات وcrocs تماسيح، وbuses حافلات، وممكن أن يشكل المختزل أسماء مركبة مع غيره مثل gym shoes أحذية رياضية... إلخ، بل إنها أدرجت في المعاجم الجديدة وتعد كلمات معترفاً بها.

بعد ذلك انتقل إلى ما سماه المترجم النحت blending يمزج فيها بين جزأين من كلمتين لصياغة كلمة أخرى مثل smog= الضباب الدخاني من fog+ smoke، و brunch وجبة بين الفطور والغداء من lunch +breakfast.

ثم الصوغ العكسي –سماه المترجم الاشتقاق العكسي، وفيه تزال اللاحقة أو البادئة الظاهرة في الكلمة. ومنها pease البازلا وcherries فاكهة الكرز كانتا تستعملان في حالة المفرد ثم توهم الإنجليز نهاية جمع فيها فحذفوهما فنشأت كلمتان جديدتان.

وهناك ظاهرة إعادة التحليل، تحلل فيه الكلمة إلى أجزاء لا نمثل بنيتها الأصلية. ولعل أظهرها كلمة هامبورجر المقترضة من الألمانية التي تعني (من هامبورج) سواء كانت شخصاً أو منتجاً، غير أن الأميركان توهموا أنها مكونة من هام= لحم خنزير+بورجر فنشأت كلمات تشيزبرجر، فيجيرجر، وشيكنبرجر، حتى صار المنتج الأصلي في بريطانيا الآن بيفبرجر.

ومضى المؤلف في بيان تأثير توهم الزيادات التصريفية ف bikini حين توهموا أنه يبدأ بثنائي، فأخذوا بادئة أخرى mono= أحادي وجعلوه علماً على ثوب

فاضح أشد منه، ومن حالات إعادة التحليل mini التي كانت في كلمات مينيمم= الحد الأدنى فصاغوا كلمة جديد ميني سكيرت= تنورة قصيرة، فصار لدينا ميني سيريز= سلاسل مصغرة ودورات مصغرة= ميني كورس، وختم باختراع كلمة من لا شيء وهي من أندر الحالات. ومن ذلك تسمية الفقرة التي توضع في الغلاف الخلفي للكتاب لذكر مزايا الكتاب، فاخترع لها الكاتب جيليت بيرجيس تسمية blurb فذاعت في الإنجليزية. وسأل عالم الرياضيات إدوارد كاسنر ابن أخيه ذا السنوات التسع أن يصوغ له مصطلحاً، للعدد عشرة أس مئة، الذي يكتب الأرقام واحداً متبوعاً بمئة صفر، فقال: googol وشاع بعد ذلك. ومن الكيمياء في ثلاثينيات القرن العشرين ولفّ الكيماويون بولميراً جديداً ذا خصائص مدهشة من بينها إنتاج الجوارب النسائية الجذابة فخرجوا علينا بالاسم (نايلون).

الفصل الرابع: سكَنْك- ليك اسم مدينتي: أية غرابة في ذلك؟ صـ١٣١ - ١٦٧

عنوان الفصل عن اسم مدينة الظَّربان، وهو حيوان ذو وبر ناعم، وفساؤه قاتل، حتى إنه لا يزول عن الثوب حتى يتمزق. جعله المؤلف مدخلاً للحديث عن تغير أسماء الأماكن الذي هو أشد غرابة وشذوذاً من تغير الأسماء العادية، فبدأ بمدينة (برايتون) وأخذ يحلله في لاحقته التي تعني: قطعة محاطة من الأرض تشير إلى البيت، وكيف أنها ترتبط باسم شخصي أو معلم جغرافي، ثم دخل على علم (أصول أسماء الأعلام) والمهارات المتطلبة من الباحث فيه خاصة مع الأسماء المركبة التي تلزم التأكد أفي المنطقة هذا النوع من النبات أو الحيوان أو التضاريس المضمن في الاسم. فكثيراً ما نجد من يسبغ على المناطق والمدن أسماء تخالف طبائعها على الإطلاق. فمن ذلك أن أيريك الأحمر، أحد المنفيين من أيسلندا، اكتشف فضاء واسعاً قرب موطنه سماه جرين لاند= الأرض الخضراء، في حين أنها أكبر أرض ثلجية في كوكبنا، وله مأرب في اجتذاب المستوطنين. ومثل هذه الخدع موجودة في زماننا فمنشئو المدن الجديدة يطلقون عليها أسماء من قبيل: ينابيع النخيل، وادي الأرز، وليس فيها غير الوحل. ونجد أسماء تطلق من قبيل السخرية، ففي القرن الثامن عشر كانت منطقة في لندن تستخدم مقلباً للقمامة، وبطريقة ما سميت (جبل السرور) وبقي إلى اليوم. وتكون الأسماء ذات دلالة معينة عندما نطلقها نحن، غير أن التغيرات اللاحقة تجعلها مبهمة تماماً. وأخذ يحلل أماكن مثل: بريدج ووتر، شروزبري، بيمليكو.

وبعض الأسماء قد يعود إلى ما قبل عصور التاريخ كالأنهار والجبال ونحوها، والأغلب أن تكون أسماء محلية، ونجد أسماء يونانية في تركيا، وتركية في اليونان، ثم تحدث عن أفول معنى الأسماء، فعند إطلاقه للمرة الأولى يكون محملًا بالدلالات ملائمًا لما وضع له، ثم يصبح سلسلة من الأصوات العشوائية تدل عليه، مثل مدينة نيويورك التي سميت دَسمِنا بمدينة يورك الإنجليزية تقديراً لجيمس دوق يورك قائد البحرية التي استولت على المدينة من الهولنديين،

لكن في الممارسة العملية لا أحد يفكر في هذا، وأغلب أسماء الأماكن صارت إلى ذلك مثل: الراين، الدانوب، الألب، البرانس، باريس، روما، برلين، موسكو، إسبانيا... إلخ.

ثم تحدث عن الأسماء، والأحداث السياسية فأسماء المدن الألمانية عندما ضمت إلى بولندا صارت مختلفة، وأسماء مناطق في الباسك في إسبانيا تغيرت بعد حكم الجنرال فرانكو، ومناطق من جمهوريات الاتحاد السوفييتي صارت بأسماء قومية، وتعدد اللافتات التي تشير إلى أسماء المدن في بلجيكا باللغتين الفرنسية والفلمنكية بسبب اعتراف الدولة بالثنائية اللغوية.

في معظم الحالات تحدد أسماء الأماكن على مدى زمني طويل، وتعكس دلالة كل اسم بعض الظروف المحلية السائدة عند إطلاقه، فيحدث خليط جنوني من الأسماء. وضرب مثلاً بمدينة نيويورك، ففيها أسماء أميركية أصلية (يقصد من السكان الأصليين غير الأوربيين) كانانداجوا، شاتاوكوا، مانهاتن، وفيها أسماء بريطانية وإيرلندية مثل: نيويورك، ألباني، روشستر، نورويتش، وهناك أسماء تشكلت تقليدياً من عناصر الإنجليزية مثل: ووترتاون، أورشربارك، لِتل فالي، وهناك أسماء هولندية أطلقها المستوطنون الهولندية مثل: هدسون، بروكلين، يونكرز، وهناك أسماء من مكونات أوربية: برشلونة، جنيف، دونكيرك، هامبورج.

قلت: علم أصول الأسماء صعب، ولا يجيده كل أحد. وهذا يذكرنا بأعمال رائدة، أشهرها عمل د. أنيس فريحة (١٩٠٣ - ١٩٩٣م): «معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية» ١٩٥٦م. وفي الجامعات السعودية منذ نحو عشر سنوات نجد رسائل دكتوراه عن أسماء الأماكن في عسير، أسماء الأماكن في منطقة مكة. وتركيزها على الجانب اللغوي البحت في الصوت والصرف، وربما تليها أعمال تحاول أن تنظر في أسباب التسمية ومناسباتها... إلخ. وذكرنا كلام المؤلف عن التسميات الأولية أن (تطوان) في المملكة المغربية بربرية الأصل معناها: عيون الماء: تيطاون، وأن (الرباط) من الأسماء ذات الأصل العربي

الخالص، و(سِيدي علي) نسبة لأحد المتصوفة، و(سِيدي حرازم) أصلها: سيدي بن حَرَزهُم، كما في كتب التاريخ القديمة. وفي مصر نجد في القاهرة القديمة (حارة إللي كفر) وهو مقلوب من اسم أحد علماء حملة نابليون [كَفَرلي] (يكتب كافاريللي) سكن هناك، لكن الخيال الشعبي رتّب قواعد الاسم! وفيها حارة (حُوش قدم)، وهي مغيرة عن اللغات الفارسية (خوش+قدم)= القدم الطيب/ قدم الخير. ونجد في مصر كثيراً من المناطق تبدأ بـ(ميت) مثل ميت رهينة، وأصلها (منية) بمعنى الإقطاعية الواسعة كثيرة الخيرات الزراعية، وكان منها في التراث: منية الخصيب. وفيها أماكن تبدأ بـ(كَفْر) وهي القرية في الموروث السامي مثل: كفر صقر، كفر طهرمس، كفر الزيات، كفر الدوار، وأماكن تبدأ ب(كوم) مثل: كوم الحنش، كوم الشقافة، كوم أمبو، وأخرى بـ(شبين) مثل: شبين الكوم، شبين القناطر، وأخرى بـ(شبرا) مثل: شبرا الخيمة، شبرا النملة، شبرا اليمن. وربما كانت من الموروث المصري القديم.

وفي اليمن نجد مناطق تبدأ بكلمة بيت مثل: بيت الشامي، بيت الكوماني، في الغالب كان سكانه عشيرة واحدة، ومناطق أولها ذو، أو ذي: ذو محمد، ذو حسين، ذي سفال، ذي جُزُب، ذِمرمر. وأماكن تغير نطق اسمها مثل الجحملية وحوض الأشراف في مدينة تعز، ذكرتا في مؤلفات القرن السابع الهجري وما بعده على أنهما: الجهملية (بالهاء)، والحوض الأشرف (نسبة إلى السلطان الأشرف الرسولي)، والمُعتبيّة نسبة إلى الأمير مُعتِب، صارت مُعْتَبِيَة- على وزن مفتعلة، وعللوها أنها التي تأكل كثيراً (تعتبي) ولا تشبع!! اهـ

١٥٠-ف١ يقول: «...لا توجد كلمة مثل taj تاج في اللغة الفارسية أو أي لغة أخرى في المنطقة» اهـ

قلت: بل هي في معاجم اللغة الفارسية، وقد رجعت إلى ٤ منها. اهـ

١٥٧ف٢ يقول: «... لنأخذ على سبيل المثال الجمهورية الجديدة أوكرانيا Ukraine لقد أثرت هيمنة روسيا لفترة طويلة على أوكرانيا في أن تصبح الأسماء

الأوكرانية معروفة في العالم بشكلها الروسي. ويفضل الأوكرانيون... أن تستخدم دول العالم أسماء أصيلة... تحل محل أسماء المدن المألوفة لدينا مثل كييف kiev... محل الأشكال الأوكرانية مثل kiyiv». اهـ

قلت: أُكرانيا هي الصيغة العربية، أما الإنجليزية فهي يوكرين، والروسية أوكراينا، بتقديم النون على الياء، أما عند القوم فهي أوكرايينا، بياء تليها ياء مد ثانية فنون فألف مد. أخبرنا بذلك أ. د: محمد يونس جبر، أستاذ الأدب الروسي والمقارن في جامعة بغداد، والأستاذ علي بن علي السوسوة سفير الجمهورية اليمنية في إندونيسيا سابقاً، وقد درسَ في كيييف -بثلاث ياءات- ست سنوات في السبعينيات. اهـ

الفصل الخامس: من أين جاءت اللغة الإنجليزية؟ ص ١٦٩- ٢١١

بدأ بمقدمة أن الإنجليزية اليوم لغة أم لملايين، ولغة يومية لملايين آخرين، وتعد الأكثر تعلماً لغةً أجنبية، وتستعمل في كل المجالات والعلوم. في القرن التاسع عشر كانت الفرنسية لغة الدبلوماسية والفنون الجميلة، واللغة الألمانية لغة العلوم مثل الكيمياء واللسانيات، وكان للغات اليونانية واللاتينية والصينية والفرنسية والعربية أهمية بالغة في أوقات وأماكن معينة لكنها لم تصل إلى هيمنة الإنجليزية اليوم. لماذا وكيف حدث هذا؟ في حين أنه في عام ١٦٠٠م لم تُستخدم في غير الجزر البريطانية وإن شئت الدقة في بعض مناطقها فحسب. ويقرّ أن هذه الهيمنة لا تعود إلى التميز اللغوي الخالص، بل إلى الاستعمار، والقوة الاقتصادية والسياسية والثقافية.

في بداية القرن السابع عشر كان الساحل الشرقي لأميركا الشمالية يعج بمتحدثين بالإنجليزية، إضافة إلى مستعمرات في الكاريبي، وفقدت بريطانيا المستعمرات الثلاث عشرة التي تكونت منها الولايات المتحدة لكن لحساب متحدثين بالإنجليزية، واحتفظت بكندا، لكنها استعمرت أماكن منها: الهند وأستراليا ونيوزيلندا وماليزيا وسنغافورة وهونغ كونغ وأجزاء كثيرة من إفريقيا، ومنطقة المحيط الهادي ومواقع إستراتيجية كثيرة في العالم.

قامت الثورة الصناعية في القرن ١٨م في بريطانيا، فأصبحت القوة العظمى الأولى في العالم الصناعي، وبنهاية القرن ١٩ ساعدت ثروتها وقوتها في جعل الإنجليزية ذات أهمية في أوربا والعالم، غير أن لغة الدبلوماسية لا تزال الفرنسية، في الوقت نفسه كانت الولايات المتحدة تضم مناطق أخرى من المكسيك، وفي عام ١٨٩٨م صارت قوة استعمارية كبرى، وخضعت لإدارتها جزر الفلبين وغيرها، فحلت الإنجليزية محل الإسبانية لغة للإدارة والتعليم. وأدت الحرب العالمية الأولى إلى سقوط إمبراطوريات قديمة، وأدى تدخل أميركا إلى جانب الحلفاء لمزيد من النفوذ السياسي الذي تضخم بانتصارها في الحرب العالمية الثانية.

وإلى جوار العضلات الحربية والصناعية لأميركا ازدهرت الإنجليزية من خلال الثقافة الأميركية التي تنشرها السينما والموسيقا ونمط المعيشة اليومية.

ولكن كيف وصلت الإنجليزية إلى جزيرة قبالة الساحل الغربي لأوربا وكيف تطورت هناك؟

بدأ المؤلف باللغة الهندية الأوربية الأم المفترضة، وبعض إجراءات الافتراض لبناء هذه اللغة المجهولة وحياة الناطقين بها، ثم إلى الفرع الكلتي منها، وموطنها وسط أوربا وشرقها في ١٢٠٠ ق.م.

ثم انتقل للحديث عن اللغة الجرمانية الأولى / الأم التي نشأ أهلها في مناطق إسكندنافية، وتغيرت في عام ٥٠٠ ق.م، وأمكن إعادة بنائها من خلال بناتها. وكانت هذه اللغة معقدة نحوياً مقارنة بالإنجليزية الحديثة، واحتفظت لغات الفرع الجرماني بالأنواع النحوية والعديد من النهايات، وعدد من فئات الكلمات تتطلب مجموعات مختلفة من النهايات، كما اكتسب الجرمانية تراكيب نحوية جديد، فبسطت نظام الأفعال واخترعت طريقة لبناء أشكال الفعل الماضي بإلحاق صوت d أو t، ولا تزال الإنجليزية تحتفظ به كما في Loved/love و walk/walked، واكتسبت الجرمانية مفردات لا توجد في الفصائل الأخرى بعضها استعير من لغات مجهولة. هناك الكلمات الأصلية التي جاءت منها الكلمات الإنجليزية: hand ,finger , blood, boar= مطر، يد، إصبع، دم، ذَكر الخنزير. موجودة في كل لغات الفصيلة الجرمانية دون غيرها، ثم أورد تحول بعض الأصوات / p t k/ في الهندية الأوربية الأم واللاتينية إلى أصوات / هـ ث ف/ في الجرمانية. مثلاً: باتر- فاذر، بد- فوت، تريس- ثري، كورنو- هورن، كورد- هارت، كوليس- هيل. ولا يخفى على القارئ المتابع أن معانيها بالعربية: أب، قدم، ٣، قَرن، قلب.

ثم تحول أصوات / / b d g إلى / p t k/ وإن كان / b/ نادر الحدوث.

بعد ٥٠٠ ق.م. بدأ متحدثو الجرمانية الأم ينتشرون في مساحات أكبر، وتتفرغ لغتهم إلى لغات متمايزة. انتقلت الجماعة الشرقية إلى كثير من أنحاء أوربا، وتمركزت الغربية في شمال وسط وشمال غرب أوربا الشرقية. في القرن الأول الميلادي كان حد الرومان الشمالي على طول نهري الراين والدانوب، وللجرمان الجانب الآخر خارج سيطرة الحكم الروماني عدة قرون، ثم كانت غزوات الهون من آسيا الوسطى إلى شرق أوربا، ورد هؤلاء بممارسة ضغوط على الإمبراطورية الرومانية. وسيطر الجرمان على ما تبقى من سلطة مركزية في إيطاليا. نجحت اللهجات الجرمانية في البقاء على امتداد ١٠٠ كلم من الراين والدانوب مثل بلجيكا وجنوب هولندا... إلخ، ورغم ذلك فالتأثير اللغوي الجرماني في الإمبراطورية الرومانية الغربية لم يكن كبيراً.

ثم انتقل للحديث عن اللهجات الجرمانية في بريطانيا، فذكر أن إقليم بريتانيا الروماني الذي يمثل -أساساً- إنجلترا الحديثة وويلز، دخل عصر الظلام، ثم عاد اتصاله بعالم ما بعد الإمبراطورية عام ٦٠٠م، وسيطر على جنوب الإقليم وشرقه متحدثون بالإنجليزية الجرمانية، وفي القرن الرابع أصبح الإقليم مطمعاً للإيرلنديين وغيرهم، فناشد البريتانيون الجرمانيين لتقديم العون، وتحرك الناطقون بالجرمانية إليها في جماعات كبيرة، حتى حلّت لغتهم محلّ الكلتية في مساحات واسعة من بريطانيا. كان معظم المستوطنين الجدد من قبائل الإنجل والسكسون من ألمانيا، والجوت من جوتلاند في الدنمرك، واكتسب الجزء الجنوبي الاسم الجديد إنجللاند= إنجلند، وعرف كلامهم بأنه إنجلش= إنجليزية، وعليه نشأت الإنجليزية في شكل لهجات جرمانية محلية للسكان القانطين بمحاذاة بحر الشمال. واستقر الجوت في الجزء الجنوبي الشرقي، والسكسون بمحاذاة باقي الساحل الجنوبي كله وعلى الجانب الشمالي من مصب نهر التايمز، واستوطن الإنجل بقية إنجلترا بما في ذلك أجزاء من جنوب شرق أسكتلندا، وحيث استقر السكسون أطلقت بعض أسماء المدن ودامت: إيستساكسون، ميدل اسكس، ويسيكس... إلخ. وبحلول القرن

الثامن اتخذ الأنجلو ساكسون خطوات لتدوين لغتهم الإنجليزية بشكل منتظم، فتخلوا عن الحروف الرونية الفوثاركية، واستخدموا إحدى صيغ الألفبائية الرومانية معززة ببعض الحروف الرونية، وبأحرف خاصة لتمثيل الأصوات التي لم تكن موجودة في الرومانية. كان هذا النموذج المعروف بالإنجليزية القديمة Old English يختلف كثيراً عن الإنجليزية الحديثة، وكان بها فئات مختلفة من الكلمات تتطلب مجموعة مختلفة من النهايات (أورد نموذجاً مطولاً منها ثم أورد ترجمة حرفية له. ثم ترجمة ثالثة إلى الإنجليزية الحديثة المفهومة).

وقد حدثت تغيرات في كل الجوانب منذ عام ١١٠٠م في كل جوانبها، وكانت التغيرات في تراكيبها الأكثر أهمية من التغير في المفردات، ولكن لأن التغير في المفردات أوضح فسيركز عليه. وجد كثير من الكلمات والصيغ الإسكندينافية طريقه إلى الإنجليزية خصوصاً الكلمات التي يتوالى فيها السين والكاف في البدء، مثل: sky, skin, scales, skip, skull, scare, score, scrap, scream, ومعانيها كما لا يخفى: سماء، جلد، ميزان، يقفز، جمجمة، رعب، نفاية، يصرخ. وأورد جدولاً طويلاً من الأسماء والأفعال والصفات في الإسكندينافية مستخدمة في الإنجليزية، أخذ يحلل بعضها ويعلل بما تغير معناه حين انتقل. ورأى أن ضمائر الغياب مقترضة منها.

ثم انتقل إلى التأثير الفرنسي النورماندي. ففي عام ١٠٦٦م قاد وليم دوق نورماندي حملة عبرت القنال الإنجليزي وهزم الجيش الإنجليزي، واعتلى عرش إنجلترا. كان جميع ملوك إنجلترا منذ الفتح إلى عهد هنري الرابع ١٤٠٠م، ولدوا خارج المملكة وكانت الفرنسية لغتهم الأم، لكن الإنجليزية في غضون أربعة أجيال صارت لغة التخاطب اليومي لمعظم الأسر الأرستقراطية الجديدة، طبعاً لم تكن الإنجليزية القديمة تفتقر إلى المفردات التجريدية والتقنية المبتكرة عن طريق التراكيب (أورد عينةً طيبة منها في جدول). مع ذلك أصبحت الفرنسية لغة المكانة في إنجلترا، وبدأ التواقون إلى ارتقاء السلم الاجتماعي يزينون حديثهم الإنجليزي بكلمات فرنسية شاعت على ألسنة الأسياد النورمان من قبل، حتى في كلمات ليست من المستعمل في المحاكم أو الجيش. وبعد نحو

ثلاثة قرون محيت كامل مفردات الإنجليزية الأصلية واستبدل بها كلمات مقتبسة من النورمندية أو اللاتينية، بنحو ٦٠٪ إلى ٨٠٪.

ويرى أن كل الكلمات الإنجليزية التي تبدأ بـ/ v/ ذات أصل نورماندي مثل: Virtue, vanity, vowel, virgin, vary, حتى كلمة very -معناها فضيلة، غرور، صائت، عذراء، يتنوع، جداً. وليس في الإنجليزية الأصلية تتابع / oi/ فكلها نورماندي، مثل: oil, coin, join, point, poison, soil, معناها: زيت، عُملة، ينضم، يشير، سم، تُربة. ورغم ذلك ظل العمود الفقري لمفردات الإنجليزية جرماني الأساس، فالضمائر الشخصية، والكلمات النحوية، وألفاظ العدد، ومعظم أجزاء الجسم، ومصطلحات القرابة، والمواد الأساسية، والظواهر الطبيعية والمعالم الجغرافية، والأفعال والصفات اليومية كلها مشتق من الإنجليزية الأصلية. ولا تزال الإنجليزية لغة جرمانية، فقد تحتوي الجملة على كلمات فرنسية ولاتينية لكنها تصاغ وفق الإنجليزية الأصلية، ويتركز تأثير الفرنسية في الإنجليزية بشكل كبير في الحقول الدلالية المعبرة عن علو المكانة والكلمات المجردة.

عودة الإنجليزية بحلول القرن الخامس عشر أصبحت الإنجليزية أرقى اللغات المستخدمة في إنجلترا -باستثناء اللاتينية- والفضل يعود إلى شعراء مثل تشوسر وجاور ولانغلاند؛ إذ استخدموا لهجات شرق إنجلترا، وبدأ الشباب ممن تلقوا تعليمهم بالإنجليزية لا بالفرنسية يتولون مناصب ذات سلطة كبيرة، وباستخدام إنجليزية مستمدة من عدد من المدارس بدأ نمط لغوي مؤثر أطلق عليه النمط الوطني، وأطلق عليه إنجليزية المستشارية المعتمدة، ولأنه صوت الملك فقد أصبح هو الوحيد المقبول في الكتابة، وكان لظهور الطباعة في ثمانينيات القرن الرابع عشر أثر كبير في تحول هذا النمط سلفاً للإنجليزية الحديثة المعتمدة. ورغم العداوة التي كانت قائمة مع فرنسا، ظل الكلام الباريسي المرموق مصدر المفردات الجديدة، وظل الاقتراض من اللاتينية سائداً لأنها لغة الكنيسة والعلم والمكانة. وأحدث بعض التغيير في الرسم الإملائي.

مع نهاية القرن السادس عشر أصبحت الإنجليزية وعاء مرناً للتعبير فكانت لغة القانون والكنيسة البروتستنتية والحكومة والأعمال الأدبية الواعدة مثل شعر شكسبير. ثم صدرت نسخة ١٦١١م المعتمدة من الكتاب المقدس القائم على إنجليزية لندن المحافظة، المشجعة على الاتساق بأسلوب سهل لا يفضل التجريب ولا اقتراض ما يزيد من مفردات لاتينية أو يونانية.

والخلاصة أن فكرة نقاء المفردات من الأمور التي يراها متحدثو الإنجليزية غريبة، وإن شذت حالات من السخرية في الكتابة بإنجليزية نقية. فليس من السهل الحصول على جملة إنجليزية دون استخدام كلمات ذات أصول أجنبية ولو حرصت. فأدى ذلك إلى لغة ذات ثراء غير عادي وطاقة تعبيرية استثنائية، ويمكننا أن نختار الإنجليزية الأصلية للتعبير عن أسلوب صريح ومباشر، والكلمات الفرنسية واللاتينية لإحداث تأثير من السمو من طرف خفي.

الفصل السادس: لماذا تختلف الإنجليزية الأميركية عن الإنجليزية البريطانية، صـ٢١٣- ٢٥٥

بدأت الأميركية باستقرار مستعمرين ناطقين بالإنجليزية في الساحل الشرقي في أميركا الشمالية في القرن السابع عشر، بمرور الزمن أخذت الفروق بين الإنجليزية البريطانية والأميركية تبرز وتتعدد في نطق الكلمات وفي الهجاء والرسم، وتباين في معاني المفردات وبناء الجملة حتى قال برنارد شو: الولايات وبريطانيا دولتان تفصل بينهما نفس اللغة. وبدأ بكلمة الألومنيوم (هذا النطق العربي. أما عند أصحابه فهو أ-لو-مي-نَم) Aluminum وكيف اكتشف ومكوناته ومشابهته لأدوية ومركبات. وكيف ظل يتنقل بين عدة مقاطع متفاوتة بين أميركا وبريطانيا.

أكثر الاختلافات بين الإنجليزيتين في المفردات، وهناك كتب كاملة لا تحتوي إلا على قوائم من تلك الاختلافات: بسبب حالات قليلة مثل المصعد (lift في بريطانيا elevator في أميركا) تصوروا أن الأميركية أطول بسبب تعاظمهم. والأمر ليس كذلك، فهناك حالات كثيرة البريطانية هي الأطول. فكتاب الطبخ في أميركا Cookbook وفي بريطانيا A book of recipes وأحد أسباب الاختلاف فيها العامل الجغرافي، مثل لذلك بنبات الكزبرة فهي كورياندر في بريطانيا وسيلانترو في أميركا. والسبب أن البريطانية مأخوذة من المطبخ الفرنسي من قديم، وليس له الأثر نفسه في أميركا. والعشب نفسه في الإسبانية التي تستعمل في المكسيك ولها حدود طويلة مع أميركا. كما أن الكوسة courgette في بريطانيا مقترضة من الفرنسية و zucchini في أميركا من المطبخ الإيطالي. ثم أورد المؤلف جدولاً ثنائياً بثلاثين كلمة.

ومن الأسباب تباين الانتقاء فمنذ أربعة قرون كان الفصل الذي يأتي بعد الصيف يسمى في بريطانيا إما fall الأصلية أو autumn من الفرنسية. وحين انتقلت اللغة إلى المستعمرات في أميركا فضلت الأصلية، واقتصرت الأخرى على الشعر،

أما في بريطانيا فاختفت fall إلا في تعبير متحجر. المهم أن الاختلافات المفرداتية بينهما نتاج ثلاثة قرون من الانفصال. ومثل لذلك بالمفردات المتعلقة بالسيارات والقطارات، وبتقنية صناعة السينما، وغيرها.

ثم انتقل إلى اختلاف الهجاء الأميركي. وأقر أن رسم الإنجليزية معقد وغير منتظم وغريب الأطوار أحياناً. فنجد أربع كلمات بنطق واحد وهجاء مختلف، وبعض الحروف لا تنطق في كلمات لا تحصى. وأرجع المؤلف ذلك إلى عدم وجود نظام متفق عليه منذ العصور الوسطى حتى القرن الخامس عشر. ومنذ بداية السابع عشر بدئ بتأليف معاجم للإنجليزية ساعدت على استقرار الإملاء نوعاً ما، ومع ذلك عند استقلال أميركا ١٧٨٣م ما زال الإملاء غير مستقر. في بريطانيا عالج الدكتور صمويل جونسون في معجمه للإنجليزية ١٧٥٥م هذه الاختلافات، فكان يختار الرسم الذي يفضله -ومعظمها في معاجمه السابقة- وصارت تمثل الهجاء القياسي في بريطانيا، ولم تجد تغييراته المستوحاة من الفرنسية قبولاً في أميركا بسبب نوح ويبستر (١٧٥٨ - ١٨٤٣م) الذي أصدر معجمه في ١٨٢٨م، فكان له في العالم الجديد نفس أثر جونسون.

ثم انتقل إلى الاختلافات في النطق، فبدأ بأن القسم الأكبر من بريطانيا كان يحتله ناطقون بالإنجليزية زهاء ١٥٠٠ عام وهو زمن طويل كاف لظهور فروق لهجية كبيرة في القواعد والكلمات وطريقة النطق، لكن المتحدثين بالإنجليزية عندما وصلوا الشواطئ الأميركية كان الزمن قصيراً لديهم فلم تظهر الفوارق النطقية إلا حديثاً. وتناول في تفصيل شديد هذه الاختلافات فكان منها: ١-إسقاط صوت الراء /r/ من النطق. ٢-نطق التاء /t/ بالنقر الخفيف في حافة اللثة بشروط معينة. ٣-تحول الصائت في كلمة bath إلى حركة خلفية. ٤-النطق الهجائي. ٥-تحول الصائت في مثل pot إلى حركة غير مستديرة. ٦-تراجع موضع النبر في الكلمة.

الاختلافات في القواعد: يقرر أن اختلاف القواعد النحوية بين اللهجات العامية كبيرة، وهي قليلة في لهجات المتعلمين في الجانبين، وشرح بعض الاختلافات بينهما: ١-في استخدام الصيغة الاحتمالية. ٢-في المضارع التام. ٣-في أسماء الجمع. ٤-في الأسماء المركبة. ٥-حالة shall التي فقدتها الأميركية. ٦-في اختلافات أخرى.

الفصل السابع: لماذا يعد الرسم الإملائي الإنجليزي غريباً إلى هذا الحد ص ٢٥٧-٢٩٩

يرى المؤلف أن هذا الرسم أغرب أنظمة الهجاء في العالم وأعقدها وأكثرها إثارة للغيظ، ففي حين تحتوي الإسبانية والإيطالية والفنلندية على أنظمة هجاء مستقرة مع وجود استثناءات، نجد الإنجليزي يكتظ بالاستثناءات. ١-فيمكن أن يتهجى الصوت الواحد بثماني طرق مختلفة. ٢-ويمكن أن يمثل رسم واحد أصواتاً متعددة. ٣- ونجد ١١ رسماً لصوت الكاف، ولغيره ما بين ١٣-١٥ لا ينتظم منها دون الخمس (أورد جداول مفصلة لها). فما الذي أدى إلى هذا؟

يرى أن الألفبائية اللاتينية في اللغة الإنجليزية ٢٦ حرفاً، في حين أن كل لهجة تحتوي على ٢٤ صامتاً ومن ١٤-٢٠ صائتاً، هذا يصل بأصوات الإنجليزية من بين ٣٨-٤٠ صوتاً مميزاً ترسم بطرق مختلفة. كان الساميون مخترعي الصوامت الأولى ثم أخذها اليونان وأضافوا إليها حروف الصوائت، وأخذها منهم الأنروسكيون ونقلوها للرومان الذين وجدوا أن الألفباءَ عندهم ١٩ حرفاً فقط هي A B C D E F H I K L M N O P Q R S T U.

كان في لغة الرومان ١٥ صامتاً + ٥ صوائت قصار + ٥ صوائت طوال. وبعض الصوائت المركبة أما Q الذي كان يعبر عن القاف في الساميات، فلم يكن له وجود حقيقي عند اليونان الذين أسقطوه كلياً، ولا عند الرومان الذين احتفظوا به، ثم قرروا أن يكون رسم المجموعة الصوتية / kw/ الحرفين QU، وحافظ الأوربيون لألفي عام على ذلك حتى إن Q لا يرد إلا وبعده / u/ . كان / c/ يمثل الصوت / g/ والحرف / k/ يمثل الكاف. ثم تجنبوا استخدام / k/ وبدؤوا استخدام / c/ للتعبير عن الصوتين. ثم اقتصر استخدام / k/ على كلمتي كايس كايزر = جايس يوليوس سيزر. ثم في القرن ٢ق.م اخترعوا حرفاً جديد بإضافة خط إلى / c/ ليصير G. في الحقبة نفسها استعار الرومان من اليونان كلمات كثيرة، ولأن اليونانية فيها أصوات تفتقر إليها اللاتينية

استعاروا منهم الحروف / z,y,x/ أضافوها لنهاية الألفباء فصارت ٢٣ حرفاً. ثم واصل المؤلف كيف أكملوها، وكيف تحولت من (الكابيتال) إلى مزيج من المكبرة والمصغرة، وكيف أن الإنجليزية لا تستعمل العلامات المميزة للأحرف كبعض اللغات الأوربية: الدنمركية والألمانية والسويدية مثلاً.

ثم رأى أن الإنجليز يستخدمون الهجاء التاريخي الذي كان ينطق منذ مئات السنين ولا ينطق الآن، فحتى القرن السادس عشر كانت كلمات knife, knot, know تنطق بكاف متلو بنون، والآن بنون فحسب، ومثل ذلك write, wrong وغيرها كثير، المهم أن عدم التدخل في الرسم الإملائي ظل سبباً في الرسم المتناقض وعند فتح النورمان لإنجلترا ١٦٦٠م أدخل الناطقون بالإنجليزية الكلمات الفرنسية في لغتهم، وحاولوا في البداية أن تكون كتابتهم معبرة عن النطق الفرنسي للكلمات قدر الاستطاعة واحتفظوا جزئياً بالرسم الفرنسي التقليدي فنتج عنه استخدام الحرف الواحد للتعبير عن عدد من الأصوات، استخدام النورمان C لتمثيل الصوتين / s,k/ كما في Cellar خزانة و calendar تقويم، وكذا حرف g لصوتين مختلفين كما في كلمة gauge= مقياس. وتبعهم الإنجليز وتسبب ولعهم بهجاء النورمان في ظهور شواذ كثيرة مثل ie و ei، وإدخال المجموعة / qu/ وكانت من قبل / kw/ التي ترسم cw= مثل cwic= quick و cwen= queen وغيرها، وأخذوا عن النورمان صامت / v/ فصار وحدة صوتية مستقلة، ومثلها الجيم الشامية.

ومن أسباب تعقيد رسم الإنجليزية نقلهم ألفاظاً كثيرة من اللاتينية مباشرة رغبةً في إثرائها بمصطلحات فنية وراقية مثل investigation= تحقيق، intermission= انقطاع مؤقت. وجلبت هذه المفردات تقاليد أخرى، مثل connection بدل connexion.

اقترضت الإنجليزية هياكل من اليونانية لبناء المصطلحات الفنية، مثل السوابق electro للإشارة للكهرباء. و zo للحيوان، و bio للحياة، وهناك لواحق logy للإشارة إلى دراسة، و phile إلى محب و graphy-للكتابة. وطبعاً صار كل حرف

يونـاني يمثلـه حرفـان أو حـرف في الإنجليزيـة، وهـذا مـا أدى إلى وجـود مثـل. Ph, ch, ps, y, rh، سـيكولوجي psychology نيمفومانيـا nymphomania= الغُلمـة النسـائية. وهـذه وأمثالهـا منتـشرة في المصطلحـات الفنيـة عامـة والطبيـة خاصـة.

وبعـد ذلـك كان الاقـتراض مـن لغـات كثـيرة سـبباً في بقـاء رسـمها الأصـلي بغض النظـر عـن كيفيـة نطقهـا لا سـيما إن كانـت تكتـب بألفبـاء غـير الرومانيـة كالروسـية واليابانيـة والصينيـة واليونانيـة الحديثـة والعربيـة، ناهيـك عـن اللغـات غـير المكتوبـة، ثـم واصـل شرح بعـض الارتبـاك والغرائـب والأخطـاء التـي أدت إلى وجـود أشـكال لجمـع غـير موجـود.

ثـم جـاء إلى تعقيـد حديـث في القـرن العشريـن مـع كثـرة الألفـاظ المختزلـة، أو صياغـة كلـمات جديـدة لأنشـطة جديـدة. وختـم بالحديـث النـصي وهـو خليـط مـن حـروف وأرقـام مثـل u محـل you، و gr8 محـل great.

الفصل الثامن: ما هي أقدم اللغات، صـ٣٠١- ٣٥٣

حسب رأيه أن غالبية اللغات البشرية لها نفس العمر بحسب ما لدينا من معرفة، أما اللغات الاصطناعية كالإسبرانتو، والإيدو، واللغات الهجين، واللغات المولدة، واللغات المختلطة ولغات الإشارة فلها بدايات محددة. فنستطيع القول: إن (السرانان) مولدة في القرن السابع عشر، وولدت المختلطة مشيف في منتصف القرن التاسع عشر، أما لغة الإشارة النيكاراجوية فابتكرت بعد عام ١٩٧٩م.

والسبب أن اللغات في حالة تغير دائم. فإنجليزية اليوم تختلف عن لغة ونستون تشرشل (ولد: ١٨٧١م) وتشارلز دارون- ١٨٠٩م، وجورج واشنطن- ١٧٣٢م، وجوناثان سويفت- ١٦٦٧م، وشكسبير- ١٥٦٤م كتاباته تبدو غريبة علينا، وكلما رجعنا للخلف نجد لغتنا تختلف أكثر، إذا ما بعث الملك ألفريد الكبير لن يفهم كلمة من كلامنا وكتاباتنا. فهل نسمي ذلك الإنجليزية. يرى أن المشكلة تعود إلى التسميات وهو أسلوب تعسفي ضروري للتسهيل، فمنذ وطأت الإنجليزية أرض بريطانيا ١١٠٠م اصطلح على أن تسمى الإنجليزية القديمة، ويمكن أن نطلق عليها الإنجليزية الوسطى بين عامي ١١٠٠- ١٥٠٠م، ومن ١٥٠٠- ١٧٠٠م الإنجليزية الحديثة المبكرة، ومنذ ١٧٠٠ حتى الآن اسمها الإنجليزية الحديثة، ولو تأملت هذه التسميات في المستقبل فلن تصلح لوصف الإنجليزية الحديثة.

ويذكر أن في عام ٥٠٠ق.م كانت اللاتينية لغة مجتمع صغير في وسط إيطاليا، وفي غضون قرون أقام متحدثوها إمبراطورية واسعة تمتد من بريطانيا وساحل الأطلسي حتى العراق، وحلت محل لغة سائدة، وبعد قرون كانت بين اللهجات الإقليمية لها اختلافات كبيرة خاصة في المناطق المتباعدة، بحيث لم يعد الفهم المتبادل ممكناً فلم يعد يصلح أن نطلق على هذا الخضم «اللاتينية» بل وجد الناس أنفسهم يتحدثون لغات كثيرة مثل: الليونية والتوسكانية، والبروفنسالية، وأصبح بعضها لغات لأمم كبيرة فصرنا نسمع عن الإسبانية والإيطالية والفرنسية.

ليست اللاتينية ميتة حقاً، بل إن متحدثيها من مئات الملايين يتحدثونها في صورة لا يفهمها يوليوس قيصر، وفوق ذلك فمتحدثو اللاتينية الحديثة ينطقونها في صورة لهجات متباينة لا يفهم متحدثوها بعضهم بعضًا. فبدلاً من إطلاق الأسماء المترهلة: اللاتينية الباريسية، لاتينية فلورنسا، اللاتينية القشتالية، نسميها: الفرنسية والإيطالية والإسبانية.

ثم يرى أن نرجع إلى الوراء (بالإنجليزية) متى كان من المناسب إطلاقه على اللغات السابقة التي تحدثها أسلافهم؟

عاد بالأمر إلى الجرمانية الأولى واللغات المنتمية إليها، ثم إلى لغات منحدرة من الهندية الأوربية الأم كاللتيوانية والكردية والحثية، ولا يريد أن يعدّ واحدة منها لهجات من الإنجليزية، وانتهى إلى أن جرمانية بحر الشمال لم تخلف سوى الإنجليزية، من لحظة مجيء الناطقين بالجرمانية إلى شواطئ بريطانيا. وستعلو الدهشة وجوه الغزاة لو أنهم أُخبروا أنهم بدؤوا يتكلمون لغة مختلفة حينذاك، فهم لا يزالون يتحدثون نفس لغة أبناء العمومة الباقين في أوطانهم وتطورت لغاتهم إلى لهجات: الفريزية، والهولندية، والألمانية الدنيا، التي نعدها الآن لغات متمايزة. المهم منذ وصول المستعمرين تطورت في بريطانيا إلى صياغة الإنجليزية القديمة لغة الملك ألفريد، ثم الوسطى لغة تشوسر، والحديثة المبكرة لغة شكسبير، ثم إنجليزية اليوم.

ثم مرّ بالفرنسية في عام ١٠٠م وهي لاتينية تطورت في مكانها (باريس التي كانت تدعى لوتيتا) وظلت لاتينية حتى عام ٩٠٠م حتى نسميها الفرنسية. فالبدايات ليست بدايات حقيقية بل بدعة يستعملها العلماء للتيسير فحسب.

ثم انتقل إلى أن البشر تحدثوا اللغات عشرات الألوف من السنين أو أكثر، لكنهم لم يجدوا طريقة لتدوين كلامهم، وكانت الكتابة أول شكل دائم لحفظ بعض المنطوق، واخترعها البيروقراطيون عند وجود المدن وتعدد مهامها، كان السومريون أول من اخترع الكتابة نحو عام ٣٠٠٠ق.م سميت المسمارية، ثم تلاهم المصريون

بالكتابة المعابدية/ الهيروغليفية، وكلتاهما معقدة، ثم تتالت الأنظمة الكتابية المختلفة، المهم أنه حتى عام ١٢٠٠ ق.م كان استخدام الكتابة مقصوراً على منطقة لا تتعدى الشرق الأدنى ومصر إلا قليلاً، ثم مضى يعدد بدايات تدوين اللغات المختلفة. ومع ذلك فمن بين لغات العالم الآن وعددها سبعة آلاف لغة، لا يكتب منها بشكل منتظم سوى ١٠٪ المهم أن اللغات موجودة دونت أم لم تدون. لكن الأشكال المكتوبة يمكن تاريخه ببعض الدقة.

وختم فصول الكتاب مؤكداً على حتمية التغير اللغوي وأن البشر هم الأساس في التغير، وأنه يمكن تتبع اللغات حتى ما قبل التاريخ.

بعد عرضنا لفصول الكتاب -الذي نرجو أن يكون وافياً- لنا هذه الملاحظات العامة الموجزة.

أولاً: خرج الكتاب عن عنوانه وهدفه الذي هو بيان لماذا تتغير اللغات؟ وكيف؟ خصوصاً في الفصل الرابع -ص١٣١ إلى ١٦٧- الذي جعله عن أسماء الأماكن. رغم ما فيه من معلومات قيمة وتحليل علمي طيب.

ثانياً: كان تركيزه على الإنجليزية دون غيرها، اللهم إلا ما كان له تعلق بها، فكأن عنوان الكتاب» لماذا تتغير اللغة الإنجليزية؟».

ثالثاً: أدى ذلك إلى حضور شاحب لبقية اللغات الأوربية، أما حضور العربية فأكثرها شحوباً؛ إذ لم تذكر غير ثلاث مرات، وفي هذا الذكر أفكار ومعلومات خاطئة.

رابعاً: في الكتاب تكرار متعمد وفيه تكرار غير مسوغ، وربما كان لوفاة المؤلف أثناء إعداده، وإكمال زميله المراجع الكتاب أثر في ذلك.

ثالثاً: جهد المترجم

إنه لعمل شاق أن تترجم كتاباً في اللسانيات يتحدث عن أسباب تغير اللغات، وعن التغير في كل جوانب اللغة: أصواتاً وبناء كلمات وبناء جملة ومفردات وخط... إلخ، ثم لا تكون هنات. ومع ذلك فترجمة د. محمد مازن جلال ترجمة واضحة بعربية معاصرة مشرقة على وجه العموم. ويزيدها ميزة ما يأتي:

١. أنه التزم ذكر عناوين الفصول والمباحث والفقرات باللغتين العربية والإنجليزية. فكأنه يقول للقارئ: إن كان لك ترجمة غير هذه فاقترحها.

٢. استعمل المصطلحات الشائعة في اللسانيات العربية ومرادفاتها أيضاً؛ فقد رادف بين اللغويات واللسانيات وعلم اللغة، وبين السوابق والبوادئ، وبين اللواحق والأواخر. غير أن القليل منها غير دقيق كان ينقصه كلمة

أو يكون خطأ. ومنها:

صـ٤٠- السطر الأخير: وتبعاً لذلك ينبغي أن نتوقع أن تكون لغة الباسك بصفة خاصة مليئة بالأصوات الاحتكاكية الأسنانية X قلت: صوابه (بين الأسنانية interdental)؛ لأنه يتحدث عن الثاء والذال. ومثل ذلك في صـ٤١ سطر٢.

ص١٦١-١٥ orchard park أورتشارد بارك x صوابه أورشر بارك.

صـ٣١٩ سطر ٢ اللغة الإلمية Elamite X صوابه العيلامية. ومثله في ٣١٨

صـ٣٦٦ تصغير Diminutive صوابه مصغّر.

صـ٣٦٨ glottal stop صوت حلقي انفجاري X صوابه وقفة حنجرية، أو كما فعل في ٧٦-٦ صوت حنجري انفجاري. وفي الصفحة نفسها: الطبق الفمي، صوابه الفموي.

ص٣٢٧ المصطلحان الخامس والسادس يحذفان لمخالفتهما الصريحة لما في المسرد الإنجليزي هجاء ومعنى.

من جانب آخر المترجم يستعمل مستوى العربية الفصحى المعاصرة، ولا بد له من ذلك؛ لأنه يكتب للعرب المعاصرين لا لأبناء القرن الثالث الهجري، ومن أمثلة ذلك:

١. زيادة (و) قبل الموصولات وأشباه الجمل، دون أن يكون لها وظيفة نحوية من عطف أو استئناف، فحذفها أولى كي يستقيم المعنى. ومنه:

-١٩-٧ من تلك التراكيب القديمة (و) التي أصبحت اليوم في عداد الموتى.

-٣٨-٧ من قبيل الظواهر العابرة (و) التي سوف تنقرض.....

-٤٢ف٢ الفرنسية هي فرع مباشر... للاتينية (و) التي لا تحتوي على صوائت أنفية

-٥٥ف١ غير أنه ولأسباب تاريخية...

-٥٦ف٣ تم فك ارتباط معنى الفعل بالتحرك الفوري (و) الذي كان ارتباطاً إلزامياً

وهناك غيره في صفحات٥٧، ٧٥، ٩٠، ٩٢ على سبيل المثال لا الحصر. وقد عالجت ذلك في كتابي: العربية الفصحى وأصولها التراثية، القاهرة: دار غريب ٢٠٠٢م ص١٦٤- ١٦٧.

٢. الكاف المستحدثة التي لا تفيد تشبيهاً ولا تمثيلاً ولا تقسيماً. ومن ذلك:

-١٩٠-٦ كان هؤلاء الإسكندينافيون يعملون كقراصنة ولصوص بحر × صوابه يعملون قراصنة. ومثل ذلك في ص ٩٤، ٢١٧، ٢١٨، ٣٣٧. وانظر كتابنا العربية الفصحى المعاصرة. ص٢٣١- ٢٣٥.

٣. يأتي الفعل المبني للمجهول مع ذكر الفاعل مصدراً بعبارة (من قِبَل) مثل

-٥٠ف٤ لم يتم تسجيل هذا الشكل اللغوي لكن أعيد بناؤه من قبل اللغويين × صوابه أعاد اللغويون بناءه، أو أعاد بناءه اللغويون.

-٩٢-ف١ وسُمي هذا الشيء على الفور باسم البطارية من قبل العلماء الناطقين بالإنجليزية × صوابه: سمى العلماء الناطقون بالإنجليزية هذا الشيء البطارية.

وهذه الطريقة في بناء الجملة ومكوناتها من تأثير اللغات الأوربية، منذ بداية القرن العشرين على الأقل. انظر كتابنا: العربية الفصحى المعاصرة ص١٥٧- ١٦٠.

وعلى المترجم مآخذ في نقل الأعلام المختلفة، منها:

في صفحات ٢، ٢٣٥، ٢٤٢. Bette Davis جعلها بيت ديفيز × والصواب بيتي، كما تحققنا منه صوتيا، وهي ممثلة سينما عاشت في الحقبة ١٩٠٨- ١٩٨٩م.

٧٣ف١ فجمع كلمة cherub وهي كلمة عبرية تشير إلى ملائكة النار على cherubim × قلت: كان على المترجم أن يكتبها بالعربية: كِروب وكروبيم، حتى لا يظنها القارئ: تشروب وتشروبم، مثلاً.

ص١١١ بوكاشي × صوابه بوكاتشيو.

١٤٣ف٢ يعد نهر الدُّن واحداً من الأنهار الكبرى في السهول العشبية، وقد أذاع صيته الكاتب الروسي Mikhail Sholokhov ميخائيل شولوكوفي رواياته... مثل وهادئاً ينساب الدون. × قلت: أحسن المترجم في ضبط اسم النهر كما في الروسية، ولم يحسن نقل لقب المؤلف الذي شاع في العربية شولوخوف، عاش في الحقبة (١٩٠٥-

١٩٨٤م) وصحة نطق اللقب بالروسية شُلوخَف كما أخبرنا أ.د: محمد يونس جبر أستاذ الأدب المقارن والروسي في جامعة بغداد -رحمه الله- والمهم أنه حصل على جائزة نوبل في الآداب عام ١٩٦٥م عن روايته «الدون الهادئ» نشرت ترجمتها الأولى بالعربية في مجلد واحد حينذاك الهيئة المصرية للتأليف والنشر. وفي ١٩٩٨م، نشرتها ثانية دار العلم للملايين في بيروت، ثم أعادت نشرها دار المدى في دمشق، في ٤ مجلدات عام ٢٠١٣م بترجمة عمر الديراوي ومراجعة غائب طعمة فرمان. اهـ

١٦٢-٨ .Carthage كاثج. × صوابه في الإنجليزية كارِثج، وهي في العربية قرطاج وفي اللغة البونية: قَرَت حَدَشت= المدينة الحديثة.

٢٩٣-٤ وKapil Dev كيبل ديف لاعب الكريكيت الهندي × صوابه كابل على وزن قابل وعامل... إلخ.

١٦٦-١٢ وربما يشعر الكاتبان سابفو، وكوليت بالراحة أكثر × صوابه: تشعر الكاتبتان سافو وكوليت؛ فهما امرأتان. وسافو (بغير باء) شاعرة يونانية ٦٣٠-٥٧٠ق.م.

وبعض الألفاظ والتعابير الأجنبية -من غير الأعلام- لم يحسن المترجم التعبير عنه، ومنه:

٣١-١٢مثل sax جهاز السكسية الموسيقي × صوابه: مثل آلة الساكسفون الموسيقية.

١٥٣-٢ من أسفل: ويصبح مجرد اسم lable فقط × صوابه: يصبح مجرد لصيقة.

٢٩٣-٣ مثل استخدام العبارة mazel tov حظاً موفقاً من العبرية × قلت: كان حق المترجم أن يكتبها بالعربية: مازِل طوب، وطوب معناها: طيب؛ كقولهم: بوكير طوب= صباح طيب. هذا النطق الشرقي، أما عند الإشكنازيين فبالفاء المجهورة.

ص٢٩٧ في الجدول ترجم جراج بموقف سيارات! والصواب حظيرة سيارات أو مرآب.

في الترجمة أخطاء متنوعة في مواطن غير قليلة، يمكن ردها إلى أربعة أصناف:

الأول: أخطاء في الإعراب والمقصور والمنقوص وجموعها.ومنه:

٦-٤ خالي من النيكوتين × خالٍ.

٤٠-١ بينما تصعب فصيلتي الدم أ و ب من نطق الأصوات الاحتكاكية الأسنانية × فصيلتا الدم.

٩٤-٣ وإليك عدد من الأطروحات التي قدمت × عدداً.

٩٩-ف٣ لها أيضاً معاني جنسية × معانٍ.

١٢١ف٣ وتعد كلمات معترف بها × معترفاً.

١٤٣-٦ السهول العشبية كانت أراض يتجول فيها × أراضيَ.

١٥١ف٢ بول سايمون وبول ماكارتني يدعيا songwriter × يدعيان.

٢٣٨ غير أن هناك خلاف في نطق بعض الكلمات × خلافاً. مثله في ٣٠١و ٣٦٢.

٢٤٠-٩ كان لهذا النمو تأثيراً مهماً × تأثيرٌ مهمٌّ.

٢٤٦-١ لا تلق معظم هذه الحالات العامية قبولاً × لا تلقى.

٢٦٧-٢ من أسفل غير أن هناك جانب آخر × جانباً.

٢٦٨ف٣ أسقط معظم المتحدثون نطق صوت /k/ في كل تلك الكلمات × معظم المتحدثين.

٢٧٠ف١ يتكرر نفس الشيء مع ثنائيات من الكلمات مثل see و sea، meat- meet اللتان يتباين رسمهما الإملائي نظراً لأنهما كانتا تنطقان بصورة مختلفة × اللتين (في حالة جر علامته الياء).

٢٧٨-الجدول٧ أصول تلك الكلمات لها تهجي مختلف × تهجٍّ (أو هجاء مختلف).

٢٨٦ف٣ أن يكون الرسم الإملائي للكلمة هكذا atge أو شيء منطقي قريب من ذلك × أو شيئاً منطقياً قريباً.

٣٠٨ -٥... من بلاد تبتعد ٣٠٠ ميلا × ميلٍ.

٣١٩ف٣... تعرضت له من جانب متحدثو اللغات الهندو أوربية... واختفت الكتابة... لألف عام أخرى أو يزيد × صوابهما: من جانب متحدثي... أو تزيد.

٣٢٠ف٣ وقد استُخدِمت أنماطا مشتقة من تلك الألفباء في كتابة اللغات السامية × أنماطٌ.

٣٢٩ف٣ واللغة الهجين ليست لغةٌ أم لأحد × لغةَ أمٍّ.

٣٣٠- الأخير يعد هذا الحرف، في الأساس، نرويجي رغم وجود حرف جر شبيه به في الروسية × نرويجياً.

٣٣١-٧ لم يكن به جملا فرعية × جملٌ فرعيةٌ.

٣٣١-١٨ كان النطق متغير جدا × متغيراً.

٣٣٢ف٢ ولا يمكن الادعاء بأن أي من تلك اللغات أكثر أهمية (بشكل كبير) من الأخرى × صوابه: بأن أياً من تلك اللغات أكثر أهمية من الأخرى.

الثاني: تأثير محكيات عربية في التذكير والتأنيث وإبدال الأصوات، ومنه:

٧ف٢ أطلق ناشطات الحركة النسائية في ستينيات القرن الماضي على حركتهم اسم حركة تحرير المرأة × حركتهن.

٦١ف٢ عندما دخلت رغيف الخبز الفرنسي الطويل الهش لأول مرة في المتاجر البريطانية... أطلق عليها... العصي الفرنسية × صوابه: دخلت أرغفة؛ لأن كل الضمائر تعود على جمع مؤنث مجازاً.

٦٥-الأخير غير أن هناك نوعاً من الفطر «عيش الغراب» به رأس خضراء فاتحة بديعة × به رأس أخضر فاتح بديع.

في صفحات ٦٩، ٧٢، ٢٩٣، ٣٣٥، ٣٥٢ قاعدة مضطردة، بصورة مضطردة × والصواب مُطَّردة، من مادة (ط.ر.د) بمعنى الانتظام والتتابع، مفتعلة، فبدلاً من اطترد* بحكم تفخيم الطاء تحولت تاء الافتعال طاء. أما من توهم أن أصلها ض.ر.د. فمخطئ، نسأل الله له السلامة من عواقب ذلك. والغريب أنها وردت على الصواب في ص١٢، ٢٣.

٨٩ف٢ كلا الطرحين لا يحوذان الرضا، ولا يزال معظم المتخصصين يعدون (أن) كلمة boy الإنجليزية مجهولة المنشأ × صوابه: لا يحوزان الرضا، بالزاي، مع حذف (أن).

١٤١-من أسفل حيث سبغ بعض زبائن... × سبق، بالقاف.

١٦٤-٦ ليس لدينا إلا النذر اليسير من المعلومات × النزر، بالزاي.

١٥٦-٣ من أسفل يطالبون بأن تصبغ الصفة الرسمية على مسمياتهم الخاصة بالأماكن × تسبغ، بالسين.

١٨٩ف٢ خيم هناك أربعة عشرة ليلة × أربع عشرة ليلة. وجاءت على

الصـــواب في ف٤.

١٩٣-١٤ ارتبطـت الكلمـة الإنجليزيـة بالملبـس الـذي يغطـي الجـزع × الجـذع، بالـذال.

٢٠٧ف٢ وَخذ الضمير × وخز، بالزاي.

٢٨٣ف٣ في القرن الثامن عشر، انحسر العدد في ثلاثة × انحصر، بالصاد.

٣٣٥-٤ يجتمع أكثر من أربعة نساء × أربع نساء.

الثالـث: خطـأ في اسـتعمال التعبـير الاصطلاحـي، ووضـع ألفـاظ في غـير موضعها. و منه:

٢١-آخر سطرين: This paper was written by Susie and myself. (٥)

كتبـتُ أنـا وسـوزي هـذه الورقـة. اهـ. قلـت: صحيـح أن هـذا معناهـا المنطقي، لا الحـرفي لا سـيما والمؤلـف في صـدد التغيـرات النحويـة، وأن هـذه الجملة وأمثالهـا صارت جمـلاً طبيعيـة صحيحـة الآن، في حـين لم تكـن كذلـك. في هذه الحـال يكون المعنـى الحرفي: هـذه الورقـة كتبتهـا أنـا وسـوزي، أو: هـذه الورقـة كُتِبـت/ انكتبـت من سـوزي ومني.

٢٢-أول سطرين Please com between8 a.m to 6 p.m. (٦)

أرجـو أن تتفضـل بالدخـول بـين الثامنـة صباحـاً والسادسـة مسـاء. اهـ. قلـت: يحسـن أن تكـون: رجـاء احـضر بـين ٨ صباحـاً و٦ مسـاء.

٢٤ف١ وجـد البريطانيـون مـن الصعـب فهـم أفـلام هوليـود عندمـا عرضـت للمـرة الأولى بالصـوت في بريطانيـا في الثلاثينيـات... فأبـدوا دهشـتهم حـين سـمعوا حديـث الأميركيـين للمـرة الأولى. والأميركيـون، بالطبـع، لم يجـدوا اللهجـات البريطانيـة **بـما فيهـا لهجـات بي بي سي أكثـر سـهولة في المقابلـة الأولى**.اهـ. قلـت: صوابـه: بـما فيهـا لهجـة الإذاعـة البريطانيـة أكثـر سـهولة في المـرة الأولى.

٥٩-٥ ولم يكونوا على دراية بما تعنيه، فخمنوا معناها كمن يضرب أخماساً في أسداس، فاتبعهم في هذا الجهل حمقى آخرون. اهـ. قلت: الله يعلم ما حروفه الإنجليزية!

فظنه المترجم بمعنى الحيرة الشديدة، ومعناه كما في كتب الأمثال القديمة شدة الاحتيال. انظر: الزمخشري: المستقصى في أمثال العرب، حيدر آباد الدكن ١٤٦/٢ و١٤٥. وانظر لسان العرب لابن منظور (خ.س.س). وهو فيهما: يضرب أخماساً لأسداس.

٨٧-١١... يعول على أن **روث الفراشات** دهني ويميل للصفرة. اهـ. قلت: لم يهتم لغويو العرب بالفَراش، لكن الروث خاص بالبهائم كالحمير ونحوها، أما أقرب الحشرات من الفراشة -وهو الذباب- فما يخرج منه اسمه **ونيم**.

٢٠١ف٢ كان لهم القدح المعلي × قلت: لا أدري لماذا اختاره من التراث وعنده بدائل مثل: الحظ الأوفر، النصيب الأبرز؟ لكن الصواب: القِدح المُعَلَّى.

في ص ٢٤٧ ترجم الفعل ماضياً ومضارعاً في عدة جمل، فكان منها: أقترح أن تتقلد سوزي الوظيفة! قلت: أليست» تحصل على» أوفق؟

الرابع: أخطاء متفرقة غير ما سبق. ومنه:

٥ف٣ يبدو أن التدخين في فيلمها قد دفعها للتدخين في {الحياة} الحقيقية.

٢٣-٣ من أسفل لا يمكن أن نفهم الآن من نطق الملك الفريد الأكبر... بأكثر ما نفهم النرويجية الحديثة × بأكثر مما نفهم.

٥٧ف٢...تعني حرفياً «الرجل العريس»، وكانت تشير إلى الرجل الذي يتزوج، (غير أنه) تدريجياً.اهـ. قلت: (غير أنه) كثيرة عنده دون داعٍ، وهنا تغني عنها واو العطف، وانظر مثلاً ص٣٢٤.

٦١ف٢ منذ عام ١٩٤٥م على أقل تقدير بدأت تتدنى مكانة اللغة الفرنسية × بدأت مكانة اللغة الفرنسية تتدنى. ومثل ذلك في ١٢٨ف٢.

٩٦ف٤ ولكن هناك شيء واحد واضح تمام الوضوح (و) لا يرقى إليه شك (ألا و) هو أن كلمة جاز ابتكرها الأفارقة الأميركيون. اهـ. قلت: صوابه بحذف ما بين الأقواس.

١٧٢ف٢ قامت الثورة الصناعية في القرن الثامن [عشر] والحقبة التالية في بريطانيا.

١٧٣ف٢ وتلك الأعمال الفنية [السينمائية و] التلفزيونية مثل العراب The godfather والأصدقاء Friends هي التي جعلت تعلم الإنجليزية شيئاً لا غنى عنه... اهـ. قلت: لا بد من هذه الإضافة، فالعمل الأول سينمائي والثاني تلفزيوني.

... كل هذه الملاحظات لا تقلل من شأن الترجمة التي ذكرنا ميزاتها في البداية. والكتاب يستحق القراءة، ونتطلع إلى أن يكون لدينا عن العربية كتاب مثله أو قريب منه. والله المستعان.